الدكتور عبد الإله أحمد نبهان

شيخ العربيَّة وفارس مَيْدانها

(١٩٤٥ ـ ٢٠٢٠م)

د. محمَّد قاسم

يا فارسَ اللُّغةِ العربـاءِ قد خضعتْ لك المتونُ ولان المُعْجَمُ العَسِـــــرُ

أَحْيَيْتَ في الحرفِ روضًا يانعًا عَبِقًا كَـأَنَّـكَ الهـاطِـلُ الهَتَّـانُ يَـمْتَـطِـرُ

وكـنـتَ للضَّـادِ نـبـراسًا نـلوذُ بِـهِ أَيَّانَ تستغلقُ الأبوابُ والسُّـــوَرُ

أَفْـنَـيْتَ دهـرَك في مِحْرَابِها عَـلَمًا يُحـاربُ العُجْمَة الشَّـــوْها ويَنْتَصِـــرُ

لـفتنـةِ الضَّـادِ في زاهي بلاغتِهـا وخـالـدِ الـشِّـــعْـرِ في أبياتِـهِ العِـبَرُ

شَيْخَ النُّحَاةِ وهل في النَّحْوِ غامضةٌ إِلَّا جَلَوْتَ؟ وضـــاءَ العـاتِمُ العَـــكِرُ

وكـان عِلْـمُـك مـبـذولًا لطـالبِـهِ فَيْـضٌ غزيـرٌ وحِلْمٌ باسـمٌ عَـطِرُ

"مظهر الحجّي في رثاءِ الدكتور عبد الإله نبهان"

الدكتور عبد الإله نَشْأَتُهُ وحَيَاتُهُ:

في أُمِّ الحجارةِ السُّودِ حِمْصَ المكلوءةِ بماءِ العاصي الطَّهورِ وُلِدَ عبدُ الإله في الثَّالثِ من آبَ سنةَ ١٩٤٥م، وما إنْ أتقنَ القراءةَ حتَّىٰ كَلَّفَهُ والدُه مهمَّةَ القراءةِ لجدِّه الكفيفِ الشَّيخِ طاهر نبهان، فكان مِمَّا قرأَ طبقاتُ فحول الشُّعراء لابن سلَّام، ومباهجُ الفلسفة الَّذي اختزنه عقلُه الباطنُ وإنْ لم يكنْ وعى مقاصدَه إبَّانَ قراءتِهِ. وغيرَ شكٍّ أَنَّ دَفْعَهُ إلىٰ هٰذه المجالِسِ الَّتي يتصدَّرُها جدُّه العالِمُ يتحلَّقُ حولَهُ مريدوهُ مِنْ طلبة العِلْمَيْنِ الشَّرْعيِّ والكَوْنيِّ، كان مُنْعَطَفًا خطيرًا في حياةِ هٰذا الفتىٰ وتوجُّهِهِ نحوَ محاريبِ العربيَّةِ وأسفارِها العِتَاقِ الأُوَلِ، إذِ انفتحتْ أمامه أبوابٌ واسعةٌ مِن لقاءِ الرِّجال، والإصغاءِ إلىٰ جدِّه الطَّاهرِ الذي كان عالمًا مستنيرًا متبحِّرًا في علومِ القرآنِ والعربيَّةِ مواكبًا لنهضةِ عصرِهِ، وكان الشَّيخُ طاهر مقتنيًا لأُمَّهات الكتب الَّتي طُبعت في عصره، والَّتي آلت إلىٰ حفيده مِن بعدُ. ومِمَّا زاد في ثقافِ الفتى وصَقْلِهِ أَنَّهُ كلَّما لَحَنَ في القراءةِ سدَّد له جدُّه ما حاد فيه لسانُهُ عنِ الصَّوَابِ، وما يزال يطيرُ ويقعُ حتَّىٰ استقامَ لسانُهُ، وانقادتْ له اللُّغةُ تُطاوعُهُ أَنَّىٰ أدارها حتَّىٰ غَدَتْ سليقةً تَعْصِمُ صاحبها، وصحَّ فيه قولُ إبراهيمَ بْنِ سِيَاهَ الأَصبهانيِّ في أبي مُسْلم محمَّدِ بْنِ بَحْرٍ الأصفهانيِّ:

لسـانُ مُحَمَّدٍ أمضى غِـرارًا ... وأَذْرَبُ مِنْ شبا السَّيْفِ الحُسَامِ

إذا ارتجل الخِطَابَ بدا خليجٌ ... بفيـــه يَمُـــدُّهُ بَحْـرُ الكَلَامِ

كلامٌ بل مُـدَامٌ بل نظـــامٌ ... مِنَ اليـاقوتِ بل قَطْرُ الغَمَـــامِ

ولَمَّا قطف عبد الإله أُوْلىٰ ثمارِ سَعْيِهِ العلْميِّ أهدىٰ هٰذه الثَّمَرَةَ اليانعةَ الشَّهيَّةَ المُجْتَنَىٰ إلىٰ جدِّه طاهر الَّذي غرس فيه حبَّ هٰذا اللِّسان وأَذْكَاهُ، وأنَّ العَمَلَ فيه وكَشْفَ أسرارِ الجمالِ فيه وَجْهٌ من وجوهِ الانتماءِ إلىٰ هٰذه الأُمَّةِ؛ قال في إهداء كتابه "ابن يعيش النَّحويّ":

"إلىٰ روح جدّي:

الشَّيخِ طاهر أحمد نبهان

الرَّجلِ الَّذي طلب العِلْمَ مِنَ المَهْدِ إلىٰ اللَّحْدِ

وعاش حياتَهُ كلَّها

يُدْرِكُ الدُّنيا ولا يراها

نافذَ البصيرةِ حديدَ الفهم

قارئًا حافظًا مُقْرِئًا

متعلِّمًا عالمًا مُعَلِّمًا

يا ساهرَ الطَّرْفِ في كُتبٍ يُقَلِّبُها ... ماذا رَأَيْتَ مِنَ الآراءِ والحِكَمِ

خَفِّضْ عليكَ فما أَلْفَيْتُ مِن رَشَدٍ ... إلَّا التَّناقُضَ في مَعْنًى وفي كَلِمِ

خيرٌ مِنَ الكُتْبِ عَقْلٌ قَدْ أُتِيْحَ لَهُ ... فَهْمٌ يُضِيْءُ سَنَاهُ حُلْكَةَ الظُّلَمِ

فإلىٰ رُوْحِهِ الطَّاهرة

أُهدي هٰذا البحثَ

الَّذي هو ثَمَرَةٌ مِن غَرْسِهِ" اهـ

حتَّىٰ إذا ما انتهتْ إليه مكتبةُ جدِّه دَأَبَ علىٰ رَفْدِها وإغنائِها بكلِّ جديد في حقولِ العربيَّةِ كلِّها، وما زال حبُّها ينمي ويزيدُ حتَّىٰ ضاعَ بيتُ أَهْلِهِ فيها، إذ نَهَبَتْ منه أَحْيَازًا جعلتْهُ يضيقُ عليهم، حتَّىٰ إذا ما أُعِيْرَ الدكتورُ عبدُ الإلٰه إلىٰ جامعة الإمارات، وجرىٰ بين يَدَيْهِ

شيءٌ مِنَ المال، اشترى بيتًا اتَّخذه مكتبةً، وابتلعت غُرَفُهُ الخمسُ خزائنَ كتبِهِ، حتَّىٰ ألحق بها غرفةً سادسةً في حديقةِ المنزل تحملُ عن أخواتها ما آدَهُنَّ حَمْلُهُ.

وكان ــرحمه اللهــ فِهْرِسًا حيًّا لِمَا يُنْشَرُ مِن مصادرِ التُّراث العربيّ في العالمين، يتتبَّعُ مساقطَ الكتب، ولا يني يطلبُها ويبذلُ لها، وقد قال أستاذُنا الجليلُ الدكتور مازن المبارك ــنسأَ اللهُ في أجله، وملَّانا بِهِــ : "لقد سعدتُ بلقائِهِ وصحبتِهِ زميلًا في مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، وأفدتُ منه لأنَّني مُذْ عرفتُهُ طالبًا في الجامعةِ كنتُ أَعتمدُ عليه في أَخبارِ الكتبِ وطباعتِها، فأنا بعيدٌ عنِ الأسواق والمكتبات، فكنتُ أتَّخذُهُ المصدرَ الموثوقَ في معرفةِ آخرِ طبعاتِ الكتبِ ودورِ النَّشْرِ وأسماءِ المحقِّقين ... إنَّهُ كان فِهْرِسًا حيًّا لقوائم المنشوراتِ منَ الكتبِ في أكثرِ المكتباتِ العربيَّةِ داخلَ القطرِ وخارجَهُ".

حتَّىٰ إذا استحكم حُبُّ العربيَّة بين جوانحه، يشفعُهُ زادٌ لَقِفَهُ عن جدِّه، وذكاءٌ وقَّادٌ، وذاكرةٌ حافظة واعية، وإحساسٌ مرهف بسحر اللُّغة، وفتنةٌ بنظامها الخَلَّاق = طَمِحَتْ نفسه إلىٰ الانتساب إلىٰ قسم اللُّغة العربيَّة وآدابِها في جامعة دمشق، وفيه جالسَ أعيان العربيَّة، وقيَّد عنهم إلىٰ أَنْ تخرَّج فيه بتقدير جيِّد سنة ثمانٍ وستّين وتسعِمئةٍ وألف، ثمَّ حازَ دبلومَ التَّربية سنة ١٩٦٩م، فدبلومَ الدِّراسات اللُّغويَّة العليا، وكلاهما بتقدير جيِّد، من جامعة دمشق، ثمَّ أَتبع ذلك بدرجة التَّبريز "الماجستير" بتقدير امتياز سنة ١٩٨٠م، فالدكتوراه بمرتبة الشَّرف سنة ١٩٩٠م، وكانت جامعةُ دمشقَ حاضنةَ ذلك التَّحصيل.

بدأ الأستاذ عبد الإلٰه حياتَه المهنيَّة مدرِّسًا للُّغة العربيَّة في مديريَّة التَّربية بالرَّقَّة، وعُيِّنَ حين باشر العمل مديرًا لإعداديَّة "مريبط" الرَّسميَّة، ثمَّ تولَّى تدريس العربيَّة في ثانويَّات حمص ومعهد المعلِّمات فيها من ١٩٧٠ ــ ١٩٨٠م.

وكان إحداثُ كلِّيَّة الآداب في جامعة البعث بحمص منعطفًا مُهِمًّا في مَسَارِ الشَّابِّ الماضي العزيمة، إذ كان هو ورصيفُهُ غازي طليمات قد حصلا علىٰ درجة الماجستير، ووقع علىٰ عاتقِهما وعاتقِ عميدِ الكلية الدكتور أحمد دهمان مهمَّةُ التَّأسيس، فوضعوا المقرَّراتِ

ومصادرَها، واستعانوا بمناهج جامعتَيْ دمشقَ وحلبَ، واستقدموا أعضاءَ الهيئة التَّدريسيَّة فيهما ليتولَّوا تدريسَ الموادّ الَّتي لا يُعينُهم تخصُّصُهم على تدريسها.

حتَّىٰ إذا ما اطمأنَّت لَبِنَاتُ هٰذا الصَّرْحِ كُلِّفَ الأستاذُ عبدُ ٱلإلٰه تأسيسَ مكتبة الكلِّيَّة، وهو الطَّبِنُ البصيرُ بعالم الكتب، وكان يُزَوِّدُها بالشِّراءِ المباشرِ مِن معارض الكتاب، وأَغناها بالاستهداءِ مِن ورثة الأدباء كمكتبة الأُستاذِ عبدِ المعين الملّوحي، ومكتبة الصَّيدلانيّ أحمد شربك، ولا زال دائبًا على ذلك حتَّىٰ جعلها واحدةً مِن كُبرياتِ المكتبات.

وما إن ناقش الدّكتور عبد ٱلإلٰه أطروحته "ابن يعيش النَّحْويّ ٥٥٣ _ ٦٤٣ هـ" حتَّىٰ عُيِّنَ مُدَرِّسًا في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابِها بجامعة البعث سنة ١٩٩١م، فأُستاذًا مُساعدًا سنة ١٩٩٦م، فأُستاذًا سنة ٢٠٠١م.

تولَّىٰ الدكتور عبد ٱلإلٰه منصب وكيل كلِّيَّة الآداب للشُّؤون العلميَّة في جامعة البعث من سنة ١٩٩١م إلىٰ سنة ١٩٩٦م.

وعمل مدرِّسًا زائرًا في جامعة قطر ٢٢/ ٢/ ١٩٩٦م _ ٢٢/ ٥/ ١٩٩٦م.

وأُوفد إلىٰ مصر في مهمَّة بحث علميّ ٢٧/ ٦/ ٢٠٠٧م _ ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٧م.

وأُعير إلىٰ جامعة الإمارات العربيَّة المتَّحدة في العين من ١/ ٩/ ١٩٩٨م إلىٰ ٣١/ ٨/ ٢٠٠٢م.

وانتُخب الدكتور عبد ٱلإلٰه نبهان عضوًا عاملًا في مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق في ١٧ أيلول ٢٠٠٨م خَلَفًا للشَّيخِ طاهر الجزائريّ، وصدر مرسومُ تعيينِهِ في ٣٠ تِشرين الأَوَّل ٢٠٠٨م، وأُقيم حفلُ استقبالِهِ في ١٣ أيَّار ٢٠٠٩م.

ولم يزل محترقًا بالعربيَّة يتبتَّل في محاريبِها، ويُريح في جَنَبَاتِها عالمًا ومُعَلِّمًا حتَّىٰ وافاه اليقينُ في ٢٦ تِشرين الأَوَّل ٢٠٢٠م، رحمه الله رحمةً واسعةً، ولقَّاهُ نَضْرَةً وحريرًا.

الدكتور عبد الإلٰه المُوَطَّأُ الأَكناف:

جُبِلَ الدكتور عبد الإلٰه مِنَ الدَّماثة واللُّطف، ترىٰ فيه سيماء النَّباهة، وسماحةَ الظَّرْفِ، وحضورَ البديهةِ، ويقظةَ الوجدان، يأنسُ به جليسُه، ولا يخيب راجيه، يتهلَّلُ والفرح يفيض من أساريره، يتأتَّىٰ لمحنة اللَّفظِ، ويمسك بأهداب الرُّوح، يعينُه علىٰ ذلك ذكاءٌ حادٌّ، وجِبِلَّةٌ رُكِزَ فيها حبُّ النَّاسِ والإحسانُ إليهم، همُّه العربيَّة وعلومُها الرَّحبةُ المترامية الأطراف نحوُها وصرفُها وفقهُها وبلاغتُها وأشعارُها الحِسَانُ، والذَّوْدُ عن حياضِها والرَّمْيُ مِن ورائها، يسعىٰ لكلِّ أولئك سعيَه فيما كتبه من بحوث، وما قرَّبَه مِن نصوصها محقَّقًا، وما أدناه مِن كنوزها المخبوءة مُفَهْرَسًا كَأَنَّهُ الشَّمْسُ إنارةً من أدنىٰ تأمُّل، وما دَبَّجَهُ مِن محاضرات وندوات.

وما مِن صديقٍ له أَوْ أُستاذ أَوْ طالب تلقَّف من علمه إلَّا أثنى الثَّناءَ الجَمَّ علىٰ حسن معشرِهِ وطيبِ مَلْقاه، وكَأَنَّهُ مِنَ الَّذينَ وصفهمُ الرَّسولُ العربيُّ الكريمُ عليه الصَّلاة والسَّلام بقوله: "الموطَّؤُون أكنافًا، الَّذين يَأْلفون ويُؤْلفون".

انماز الدكتور عبد الإلٰه بجملةٍ مِنَ السَّجايا جَعَلَتْ عِلْمَهُ الواسعَ بالعربيَّةِ وعلومِها وتراثِها وأسفارِها مَبْذُوْلًا ينهلُ منه النَّاهلون بلا عَنَتٍ.

أوَّلُها تواضعُهُ الجَمُّ، إذ لم يشعرْ أحدٌ مِن رُصَفَائِهِ ــوهو ما هو عِلْمًا وعِتْقًاــ أَنَّهُ مُمَيَّزٌ منهم، وغيرُ قليلٍ مِن هؤلاءِ مِن طبقةِ طُلَّابِهِ، فقد كان ــرَحِمَهُ اللهــ أَشَدَّ النَّاسِ التزامًا بواجباتِهِ ومحاضراتِه، يمضي إليها بنَفْسٍ سمحةٍ شَغَفَها حُبُّ العربيَّةِ، وهِمَّةٍ حَذَّاءَ ماضيةٍ لا يَنَالُ منها كَلَالٌ أَوْ فُتُوْرٌ.

ثانيها الحُبُّ الَّذي يفيضُ مِن بينِ جوانحِهِ لزُملائِهِ وطُلَّابِهِ، فقد كان مكتبه مَحَجًّا عامرًا بأَهْلِ العِلْمِ يَزْدَحِمُ فيه طَلَبَةُ العربيَّة وملتمسو الرَّأْيِ الَّذين كانوا يَرَوْنَ مَشُوْرَتَهُ نَصًّا. وأَنْتَ تَرَىٰ حِلْمَهُ أَسْمَىٰ ما يكونُ في مناقشةِ الرَّسائِلِ الجامعيَّةِ، لا يشقىٰ سامعُهُ بما يَقُوْلُ، رحيبَ الصَّدْرِ متَّزنًا لا يَتَدَافَعُ علىٰ الطَّالبِ بشَيْءٍ مِن صَلَفٍ أَوْ تَعَالٍ، وَقَارُ العالِمِ حِلْيَتُهُ

وقَدْ آمَنَ أَنَّ هٰذا الجِيْلَ سيحملُ الرَّايةَ مِنْ بَعْدُ، فلا بُدَّ مِنَ الحَدَبِ عليه وتوجيهِهِ والأَخْذِ به برِفْقٍ وأَنَاةٍ إلىٰ محاريبِ العربيَّةِ وإيقافِه علىٰ مكامِنِ السِّحْرِ فيها وتدريبِهِ علىٰ آلاتِ كشفِهِ وتوظيفِهِ لدَرْكِ الحَدَاثَةِ المُتَسارِعَةِ وانفجارِ العُلُوْمِ المتلاحق.

وثالثها أَنَّهُ صاحبُ حِسٍّ فُكَاهِيٍّ حِمْصِيٍّ ذكيٍّ لا يُدْرِكُهُ إلَّا مَنْ خَالَطَهُ وعَرَفَهُ عن قُرْبٍ، يُعينُهُ علىٰ ذلك لغةٌ مِطْوَاعةٌ منقادةٌ له يتصرَّفُ بها أَنَّىٰ شاءَ.

ورابعُها قداسةُ العلم، وأَنَّهُ لا يُحابي فيه ولا يُجَامِلُ، وأَنَّهُ أَحَبُّ إليه مِن كلِّ حبيب، لا يُدَاهِنُ ولا يَزْدَلِفُ علىٰ حساب نور العلم ويقينه وجلالِهِ.

الدكتور عبد الإلٰه والذَّاكرة الحيَّةُ الوقَّادة:

يُجمع مَن عَرَفَ الدكتور نبهان أساتيذَ وطلبةً علىٰ أنَّ اللهَ حباهُ ذاكرة وقَّادة يستدعي ما يريد منها في الوقت، لا يَتَأَبَّىٰ شَيْءٌ مِن مخزونها الثَّرِّ عليه، حتَّىٰ إذا ما صحَّتْ حاجتُه إليه، وانقدح المقامُ يطلبُهُ جاءَهُ يختالُ مُلَبِّيًا دَاعِيَهُ، وعاضِدًا حُجَّتَهُ.

وأسوقُ علىٰ ذٰلك مثالَيْنِ ذكرهما الأُستاذ نور الدِّين الهاشميُّ، وهو مِنْ خاصَّةِ أصحابِ الدكتور عبدِ الإلٰه:

الأوَّل: أنَّ الأستاذ نور الدِّين اختلف مع نفرٍ من أصحابه في إحدىٰ الجلسات الَّتي غاب عنها الدكتور عبد الإلٰه لعارضٍ حالَ دون انضمامِهِ إليهم في مقهىٰ الأندلس في شارع عبد الحميد الدروبي يوم الأربعاء علىٰ ما جرتْ عليه عادتُهم = حول قائل هٰذا البيت:

أسألُ اللهَ سكرةً قَبْلَ موتي وصِيَاحَ الصِّبْيَانِ: يا سَكْرَانُ!

فأجمع أكثرُهم علىٰ أَنَّهُ أبو نُواس، والأستاذ الهاشميّ يدفع ذلك عنه، ولا يَحْضُرُهُ اسْمُ قائله حتَّىٰ احتكموا إلىٰ الدكتور عبدِ الإلٰه في اتِّصال هاتفيّ في ساعةٍ متأخِّرةٍ مِنَ اللَّيل، فأَجَابَ

بيقين الواثق مِمَّا في صدره: إبراهيمُ بْنُ هَرْمَةَ القُرَشِيُّ. لقد كان ــرحمه اللهــ مكتبةً حيَّةً نابضةً تسكنُ في حناياه أسفار العربيَّة.

الثَّاني: أنَّ الأستاذ استعار مِنَ الدكتور عبدِ ٱلإلٰه كتابًا نادرًا اسمُهُ "الحمار الذَّهبيّ" لكاتبٍ رومانيٍّ اسمُهُ لوكيوس أبوليوس يراه بعضُهم أَوَّلَ روايةٍ في التَّاريخ، ثمَّ أُعير أبو مصعب إلىٰ جامعة الإمارات بضع سنين، ثمَّ عاد إلىٰ جامعة البعث، ثمَّ اجتاحتِ البلادَ حربٌ غَشُوْمٌ، فسافر الأستاذ نور الدِّين إلىٰ عُمان، وبقي فيها ستَّ سنوات، ثمَّ اجتمعا في حمص في صيف سنة ٢٠١٨م، وقدِ اجتمع شَمْلُ مَنْ تبقَّى مِنَ الصَّحْبِ القديم، فإذا بالدكتور عبدِ ٱلإلٰه يقول للأستاذ نور الدِّين: أين الحمار الذَّهبيّ، الَّذي ذهب عن ذهنه بعد هٰذه السَّنوات القواشِرِ الطِّوال، لٰكنْ لم يذهبْ عنه أَنَّهُ أمام ذاكرةٍ فُولاذيَّة لا يفوتها شيء، فما زال الأستاذ نور الدِّين يبحث عنه حتَّىٰ أصابه، وأرجعه إلىٰ صاحبه معتذرًا، ثمَّ لم يلبث الدكتور أَنْ أعاره لصديقٍ آخرَ شَهِدَ استرجاع الكتاب.

الدكتور عبد ٱلإلٰه والأخلاق العلْميَّة النَّادرة المثال:

مِنَ المواقف النَّبيلة الَّتي تشهد للدكتور نبهان بالفضل المتناهي والسُّمُوِّ المتعالي أَنِّي كنت في بيت أستاذي الدكتور محمَّد أحمد الدَّالي ــرحمه اللهُ رحمةً واسعةًــ في صيف عام ٢٠٠٠م أيَّام كنتُ طالبًا في الماجستير، وجرى اتِّصال هاتفيّ بينهما يتذاكران ما يقومان عليه من تحقيق النّصوص، فقال الدكتور عبد ٱلإلٰه: أعمل في تحقيق تفسير غريب ما في كتاب سيبويه مِنَ الأَبنية لأَبي حاتمٍ السِّجِسْتَانِيّ، فقال أستاذي الدكتور الدَّالي وقدِ اعتراه قَبَسٌ مِنِ انفعال: يا أبا مصعب، أَكَادُ أَفْرُغُ مِنْ تحقيقه! فلم يتردَّد أبو مصعب في قوله: أقف عَنِ المُضيِّ فيه إذَنْ، وأدفعُ إليكَ ما ليس عندَك مِن أُصُوْلِهِ الخطِّيَّةِ الَّتي بَيْنَ يَدَيَّ!

كان رحمه الله يعرفُ أقدارَ الرِّجال، ويُنَزِّلُهم منازلَهم، وهٰذا فَنٌّ قلَّ مُحسنوه في زمنٍ غالتِ الأَدْوَاءُ المختلفةُ الضُّروبِ مِنَ الحَسَدِ والغرورِ والأَثَرَةِ والنَّرجسيَّةِ وعداوةِ أَهْلِ الصَّنْعَةِ الواحدةِ نُفُوْسَ كثيرٍ مِمَّنْ يعتزي إلىٰ الاشتغال بالعلم، وقد ذاكرتُ أبا مصعبٍ بهٰذا الموقف

الَّذي سحرني في لقاءٍ جمعني به في دار البشائر بدمشق، فقال معلِّقًا: ما كنتُ لأُقْدِمَ علىٰ عَمَلٍ وَضَعَ أَبو أَحمد الدَّالي قَلَمَهُ فيه، فهٰذا فَنُّهُ الَّذي لا يُجَارىٰ فيه، وأنت تراهُ يزدحمُ علىٰ مصنِّف الكتاب الَّذي يتولَّىٰ تحقيقه، فيشاركُهُ مادَّتَه نَقْدًا وتحقيقًا واستدراكًا وتعليقًا مختلفَ الألوانِ، أَوْ قالَ كلامًا هٰذا معناه. للهِ درُّك يا أبا مصعب ما أذكى جَنَانَكَ، ورَحِمَ اللهُ مَنْ قال: الفَضْلُ يَعْرِفُهُ ذووه.

ومِنَ الأخلاق العلميَّة الحميدة الَّتي كان عليها الدكتور عبد الإلٰه التَّلَطُّفُ في نَقْدِ مَنْ نَقَدَهُ مِنَ المحقِّقين الَّذين جاءت أعمالُهم دون المأمول ودون ما يليقُ بهٰذا التُّراثِ الضَّخْمِ الَّذي ضَنِيَ في إشادة صرحِهِ آباؤنا.

وكان نَقْدُ الكتب المحقَّقة أَحَدَ ضروبِ المقالات الَّتي تولَّىٰ الدكتور نبهان تحبيرَها، فقد حرَّر عَشْرَ مقالاتٍ فيه نَشَرَها في مجلَّات المجامع المعنيَّة، منها "نظرات في كتاب تفسير أبيات المعاني مِن شعر أبي الطَّيِّب لأبي المُرْشِدِ سليمانَ بْنِ عليٍّ المعرّيّ المتوفَّىٰ بعد سنة ٤٩٢ هـ" وقد صدر الكتاب بتحقيق مجاهد محمَّد محمود الصَّوَّاف ومحسن غياض العجيل، مركز البحث العلْميّ وإحياء التُّراث في جامعة الملك عبد العزيز، ١٩٧٩م.

قال الدكتور نبهان فيه: "وقد بذل المحقِّقان الفاضلان جهدَهما في تحقيق هٰذا الكتاب وتحريرِ نصِّه، ووضعا ــفيما يبدوــ خُطَّةً مُحْكَمَةً من حيثُ الاقتصادُ في التَّعليقات والإحالاتِ لإخراج الكتاب في مدَّةٍ محدودةٍ، ومعهما الحقُّ كلُّ الحقِّ في ذلك، لأَنَّهُ لا معنىٰ لحجز الكتاب وتأخيرِ نَشْرِهِ مِنْ أجل تقويم موضعٍ غامضٍ، أَوْ مِنْ أجل العثور علىٰ قائل بيت مِن أبيات الشَّواهد قد يَحْتَاجُ البحثُ عنه أسابيعَ وأحيانًا شُهُورًا. فلْيُنْجَزِ الكتابُ، ولْيُنْشَرْ، ثمَّ يتابِعُ القُرَّاءُ قَضَايَاهُ، وكُلٌّ يُتَمِّمُ نقصًا، ويستدرك استدراكًا، ثمَّ تُجمَعُ هٰذه الاستدراكات، ويُنتفعُ بها في الطَّبعات التَّالية للكتاب" اهـ مجلَّة معهد المخطوطات. مج ٣٩، ج٢، ص ٧٥١.

هٰذا كلامُ عالمٍ بصيرٍ جَمّ التَّواضُعِ نبيلِ المقاصد يَعِفُّ عَنِ اغتيال جهودِ الرِّجالِ ولو زَلَّتْ أقدامُهم في مواضع، ويعتذرُ لهما أَلْطَفَ اعتذارٍ؛ إذ بَذَلَ الرَّجلان وسعَهما وما قَوِيَ عليه نَظَرُهما، ثمَّ تأتي العينُ الفاحصةُ مِنَ القُرَّاء الَّذين يرأبون الصَّدْعَ، ويُتَمِّمُوْنَ النَّقْصَ، ويدفعون العمل برِفْقٍ إلىٰ الكمال، قيامًا منهم بحقِّ العلم لا يُحَرِّكُهم في ذلك شَيْءٌ مِن حظوظ النَّفْسِ مِن شهوةِ المغالبة والصِّيال والتَّعالمِ.

إنَّ كلام الدكتور عبد الإلٰه رصين هادئ مُنْبِئٌ عن سَمْتٍ علْميّ تتضافر فيه جهودُ المحقِّق ونظراتُ نَقَدَةِ نَصِّه، ما أحوجنا إلَىٰ هٰذا النَّهْجِ اللَّاحب المستتبِّ في زمنٍ كَثُرَ فيه أدعياءُ زعانفُ لا يعملون، ولا يحبُّون أَنْ يعمل الآخرون، حتَّىٰ إذا أخرج المرءُ كتابًا كدَّه تحقيقُه وضبطُه وتَعَقُّبُ مخارجِ نصوصِه قد سقاهُ ماءَ عينه = جاء واحد من هؤلاء وهو مجمومُ النَّشاط متوفِّزُ الخاطر يترصَّد ما فَرَطَ مِنَ الأوَّل، ثمَّ يَنْضَحُه بسهامه طاعنًا في وضح النَّهار وفي غلس الظَّلام، صاننا اللهُ مِن هٰذه الفئة الَّتي يَلَذُّ لها هَدْمُ ما بناه النَّاسُ، وتستطيبُ نَبْشَ أكفان الموتىٰ!

ولا يجدُ الدكتور نبهان غضاضةً في الرَّدِّ علىٰ الأئمَّةِ إمَّا جاروا عَنِ القصد، وتنكَّبوا عَنِ الجادَّة. من ذلك ردُّه علىٰ ابن قتيبة الدِّينوريّ وقد نفىٰ العيب عَنِ المحدِّث إنْ لحن؛ قال:

"ومِن أغرب ما وقعتُ عليه وأَعْجَبِهِ أَنِّي وجدتُ ابن قُتيبة يلتمس العُذْرَ لِمَنْ يَلْحَنُ في الحديث حتَّىٰ ولو كان محدِّثًا، ويُسَوِّغُ له ذلك؛ يقول: "وليس علىٰ المحدِّث عيبٌ أَنْ يَزِلَّ في الإعراب، ولا علىٰ الفقيهِ أَنْ يَزِلَّ في الشِّعر، وإنَّما يجب علىٰ كلِّ ذي علمٍ أَنْ يتقنَ فَنَّهُ إذا احتاجَ النَّاسُ إليه فيه، وانعقدتْ له الرِّئاسةُ بِهِ".

وكَأَنِّي بابن قُتيبة قد غاب عنه أَنَّ النَّحْوَ علمٌ مِن علوم الآلة لا يمكن أَنْ يُستغنىٰ عنه بحالٍ، مع أَنَّهُ لا يُرَادُ لذاتِهِ، ولا يُسَمَّىٰ المحدِّث محدِّثًا إذا كان يلحن، قال ابنُ الجوزيّ:

"ومِنَ العلومِ الَّتي تلزمُ صاحبَ الحديثِ معرفتُهُ للإعراب لئلَّا يلحنَ، وليُوْرِدَ الحديثَ علىٰ الصِّحَّة".

وقال شُعبة: "مَثَلُ الَّذي يتعلَّم الحديث ولا يتعلَّم النَّحْوَ مَثَلُ البُرْنُسِ لا رأسَ له". فهل نستطيع أَنْ نُسَمِّيَ مَنْ يلحنُ في حديثه عَنِ الرَّسول محدِّثًا؟ وقد كان العلماءُ ينكرون اللَّحْنَ في الحديثِ الشَّريفِ أشدَّ الإنكارِ. وقصَّة حمَّاد بن سلمة مع سيبويه مشهورة متداولة، كما أنَّ ابن فارسٍ كان مستاءً أشدَّ الاستياء مِن لحن الفقهاءِ والمُحدِّثينَ، والقاضي التّنوخيّ في نشوار المحاضرة قد تَنَدَّرَ بأحد المحدِّثين لأنَّه كان يلحن في حديثه العاديّ مع جاريته، فكيف به لو أَنَّهُ لحن في روايته لحديث أفصح العرب لسانًا وأقومِهم بيانًا" اهـ مقدّمة تحقيق إعراب الحديث النَّبويّ ٢٦ ــ ٢٧.

ردَّ الدكتور عبد الإلٰه كلام ابن قُتيبة رَدًّا فيه من حُسْنِ التَّأَنّي، وهدوء العبارة، وقوَّة الاحتجاج، وتنوُّع الاستشهاد (قول ابن الجَوْزيّ وشُعبة مِنَ الآداب الشَّرعيَّة ٢/ ١٣٧، وخبر سيبويه مِنَ البُلْغَة للفيروز آبادي ١٧٤، واستياء ابن فارسٍ مِنَ الصَّاحبيّ ٣٢، والتَّنَدُّر ببعض المحدِّثين الَّذي لَحَنَ مِن نشوار المحاضرة ٢/ ٣٤٤)، كُلُّ أولئك مُنْبِئٌ بعلم الدكتور وسعة اطِّلاعه ورسوخ كعبه.

ومن أخلاق الدكتور نبهان إِنْصَافُهُ ونصُّه علىٰ ما للنَّاس مِن فضل، قال في مقدمة تحقيق ديوان الحلَّاج ٧: "ووجدت أَنَّ الدكتور كامل مصطفى الشَّيبيّ قد أوفىٰ في تحقيقه لديوان الحلَّاج علىٰ الغاية، وقدَّم عملًا رائعًا في تحقيقه وتعليقه. وكان عملي مقارنةُ النَّصِّ الَّذي يرد في طبعة الشَّيبي بمقابله في طبعة ماسينيون وضَبْطُهُ، ولمَّا لم يكن في نيَّتنا ولا همِّنا الإكثار مِنَ التَّعليق، اجتزأتُ مِن تعليقات الدكتور الشَّيبيّ بما يخدمُ النَّصَّ، وينفعُ القارئ، وحذفتُ الكثيرَ مِمَّا له علاقةٌ بالأمور الَّتي يهتمُّ بها المحقِّقون مِمَّا هو أدخلُ في صناعتهم. فجاء الدِّيوان في ثوبه الجديد ثمرةَ قراءةٍ مقارنةٍ اختارتْ أَفْضَلَ الرِّواياتِ وأصحَّها، موشَّحًا بخلاصةِ تعليقات الدكتور الشَّيبيّ، مع نسبةِ كلِّ قولٍ أَوْ رَأْيٍ إلىٰ صاحبِهِ أَوْ مصدرِهِ" اهـ

والكلامُ على مناقب الدكتور عبد الآلِه ومآثره وأخلاقه وما جُبِلَ عليه من كريم الخِلَالِ لا ينقضي في هٰذه العُجالة، ولو ذهب المرءُ يستخرجُ شهادات مَنْ عرفه مِنَ الأصحاب والطُّلَّابِ لاتَّسعت أحناءُ المقالِ، وتشعَّبت طرقُهُ، وهٰذا فيضٌ مِنْ غيضٍ. لقد كان ــرحمه اللهُــ إنسانًا يفيضُ سماحةً وندًى وحُبًّا كحُبِّ المتصوِّفة الَّذي لا يُحَدُّ.

الآثار العِلْميَّة

(١)- الكتب المُؤَلَّفة:

١ــ ابن يعيش النَّحْوِيُّ ٥٥٣ ــ ٦٤٣ هـ : اتِّحاد الكُتَّاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.

وهو في الأصل رسالة الدكتوراه الَّتي نال بها لقبه العلْميّ مِن جامعة دمشق بمرتبة الشَّرَف سنة ١٩٩٠م.

رأى المؤلِّف أَنَّ شرح المفصَّل لابن يعيش تَجَلٍّ رائِعٌ للنَّحْوِ العربيّ في القرن السَّابع، وأَحوجه تبيان هٰذا التَّجلِّي إلىٰ البحث والفهرسة والمراجعة سنين عددًا حتَّىٰ استوىٰ علىٰ سوقه، وقال في صدر كتابه: "ومِن هنا كان لدراستنا هٰذه أَنْ تزعم لنَفْسِها أَنَّها مِنْ أُوْلىٰ الدِّراسات الَّتي تناولت ابن يعيش بالبحث علىٰ نَحْوٍ مُوَسَّعٍ مستفيضٍ، وحاولتْ أَنْ تبرز ملامح شخصيَّته النَّحْويَّة، مَعَ التزام جادَّة الموضوعيَّة والحذر ما وسعها ذلك".

قال الدكتور عبد النَّاصر عسَّاف في هٰذه الدِّراسة: "مِمَّا لا شكَّ فيه أَنَّ هٰذه الدِّراسة تدلُّك علىٰ شخصيَّة الباحث العالِم الجادّ الحريص علىٰ المنهج العلْميّ المُحْكَمِ إذا جَمَعَ مادَّتَهُ، وصنَّف وقدَّم وأخَّر، وأوجز وفصَّل، وإذا صحَّح النَّصَّ وانتقد الرِّواية، وإذا استدلَّ لحكمه، ومثَّل لرأيه، وإذا حقَّق ما اختُلف فيه مِن أقوالٍ وقضايا، وناقش ما اشتجر فيه الخِلاف، وإذا تحرَّىٰ الحقَّ، وذَبَّ عنه بموضوعيَّةٍ واتِّزانٍ، وإذا عبَّر عن رأيه ومرادِهِ بدقَّةٍ واقتدارٍ.

والاستيعابُ مِن سمات هٰذه الدّراسة الظَّاهرة، وقد دَلَّت عليه عبارة المؤلِّف في غير موضعٍ دلالةَ تصريحٍ. وقد بلغ من استيعاب الدكتور عبد ٱلإلٰه حدًّا جَاوَزَ الحَدَّ، وخرج منه إلىٰ حمىٰ الاستطراد. بيدَ أَنَّهُ عند التَّأَمُّلِ استطرادُ عالِمٍ ربَّما أرادَ بِهِ أَوْ بِبَعْضِهِ أَنْ يفيدَ القارئَ، أَوْ يدفع الشُّبهات ويجلو الحقيقة، أَوْ يُوَضِّحَ المقصود، ويُقَرِّبَ مِنَ المراد".

ثمَّ قال عقب نقله كلامًا للدكتور عبد ٱلإلٰه في تواشج المفصَّل والإيضاح: "وهٰذا المثال المتكامل يدلُّك علىٰ قدرة المؤلِّف علىٰ الحجاج والاستدلال، وربط الأشياء بعضِها ببعضٍ، وتفسيرِها تفسيرًا مَقْبولًا، ومحاكمة القضيَّة علىٰ وفق رؤية كلّيَّةٍ وتصوُّر علْميٍّ صحيح يُراعي الجزءَ والكُلَّ، وعلاقةَ أحدهما بالآخر، والسِّياق الطَّبيعيّ للأشياء المتكاملة، بعيدًا عَنِ الحلقات المفقودة، والأحوال الشَّاذَّةِ، ويُنبئُك بأَنَّ الأحكامَ الصَّحيحةَ وبيِّنَاتِها ينبغي أَنْ تنبثقَ مِنَ النُّصوص المُتَعَيِّنَةِ ما أَمْكَنَ" اهـ

٢ــ الفهارس المفصَّلة للأشباه والنَّظائر في النَّحْوِ للسُّيوطيّ، "كشَّافات تُراثيَّة"، معهد المخطوطات العربيَّة، القاهرة، ١٩٩٨م.

كان تحقيق الأشباه والنَّظائر أربع رسائل لنيل درجة الماجستير في قسم اللُّغة العربيَّة وآدابها في جامعة دمشق، ثمَّ تولَّىٰ مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق نشر هٰذه الرَّسائل:

الجزء الأوَّل: تحقيق عبد ٱلإلٰـــــه نبهان ١٩٨٥م.

الجزء الثَّاني: تحقيق غازي مختار طليمات ١٩٨٦م.

الجزء الثَّالث: تحقيق إبراهيم محمَّد عبد الله ١٩٨٦م.

الجزء الرَّابع: تحقيق أحمد مختـار الشَّريف ١٩٨٧م.

وانتهىٰ كلُّ جزء بِفِهْرِسٍ لعنوانات الأبواب.

وكان لا بُدَّ مِن فِهْرِسٍ جامع للأجزاء الأربعة وما اشتملت عليه مِن آيٍ وأحاديثَ وأمثال وأشعار وأنثار ومسائل نَحْوِيَّةٍ اشتبكت فيها أصولها النَّاظمة لها = يكشف خَبْأَها، ويجعل الطَّريق إليها لاحبةً مطمئنَّةً، والإفادةَ منها مُدَمَّثَةً مبذولةً.

آمن الدكتور عبد ٱلإلٰه أَنَّ الكتاب كنزٌ مُرْتَجُ الأبوابِ ومفتاحه الفهارس، وكان خوفه مِنَ الضَّجر والغرق في بحر مِنَ الجُزازات يثنيه عَنِ النُّهوضِ بهٰذا العمل الضَّخْمِ، وما زال يُقدم ويُحجمُ حتَّىٰ عهد إليه معهد المخطوطات العربيَّة في القاهرة بصناعة هٰذه الفهارس، فصحَّ منه العزم، وشمَّر عن ساعد الجِدِّ، وقد صار الأَمْرُ فَرْضًا لا نَفْلًا، فأنجز ما انتُدب إليه أجودَ ما يكون الإنجاز.

ولا التفاتَ إِلَىٰ قَوْلِ مَنْ قال: إِنَّ صناعةَ الفهارس عَمَلٌ آليٌّ لا حظَّ للعَقْلِ فيه، واستخراجُ الأَصْلِ النَّاظم للمسألة فيه مِنَ النَّظَر وإعمال الذِّهنِ ما فيه. وأذكر في هٰذا السِّياق أَنَّ أُستاذي الدكتور محمَّد أحمد الدَّالي روىٰ لي عن شيخِهِ الأستاذ أحمد راتب النَّفَّاخ أَنَّهُ قالَ: أمنح درجة الماجستير في الآداب لِمَنْ يُفَهْرِسُ النَّحْوَ والصَّرف في كتاب معاني القرآن للفرَّاء، ثمَّ رأيتُ هٰذا الفهرس مطبوعًا بعنوان: مُعْجم مصطلحات الفرَّاء في معاني القرآن في ليدن سنة ١٩٩٦م مِن إعداد نفتالي كينبرغ، وهو في الأصل رسالة دكتوراه.

وقد صنع الدكتور عبد ٱلإلٰه فهارسَ أُخَرَ:

ـــ فِهْرِس شواهد المفصَّل للزَّمخشريّ مع تخريجها، مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، مج ٦١، ج ٣- ٤، ١٩٨٦م، مج ٦٢، ج١، ١٩٨٧م.

ـــ فِهْرِس مؤلَّفات السُّيوطيّ المطبوعة، مجلَّة عالم الكتب، الرِّياض، مج ١٢، العدد الأوَّل، ١٩٩١م.

ـــ فِهْرِس شواهد رسالة الملائكة للمعرّيّ مع تخريجها، مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٣٥، ج ١- ٢، ١٩٩١م.

ـــ فِهْرِس أعلام شرح المفصَّل لابن يعيش، مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٤٠، ج ١-٢، ١٩٩٦م.

ـــ فِهْرِس مخطوطات د. شاكر فرحان مطلق، مجلَّة معهد المخطوطات العربيَّة بالقاهرة، مج ٤٧، ج١، ٢٠٠٣م.

(٢)- الكتب المحقَّقة:

١- إعراب الحديث النَّبويّ لأبي البقاءِ العُكْبَريّ، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ط١، ١٩٧٧م، ط٢، ١٩٨٧م، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٨٩م.

ذكره الطَّناحيّ في مدخل إلىٰ نشر التَّراث العربيّ ١٦٠، وقال في محقِّقه الدّكتور عبد الإله: "وهٰذا الشَّابُّ تُنبئُ أعمالُهُ عن مستقبلٍ طيّبٍ" اهـ

٢- المقصور والممدود للفرَّاء (بالاشتراك)، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣م

٣- غوامض الصِّحاح للصَّفديّ، معهد المخطوطات العربيَّة، الكويت، ط١، ١٩٨٥م، مكتبة لبنان ناشرون، ط٢، ١٩٩٦م.

٤- الأشباه والنَّظائر للسُّيوطيّ (ج١)، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٩٨٥م.

٥- الملاحن لابن دُرَيْدٍ، وِزارة الثَّقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٢م، مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

٦- شرح منظومة آداب الأكل والشُّرْب والضِّيافة للأَقْفَهْسِيّ (ت٨٠٨هـ) (بالاشتراك)، مكتبة عمر ريحاوي، حلب، ١٩٩٤م.

٧- اللُّباب في علل البناء والإعراب للعُكْبَرِيّ (بالاشتراك)، منشورات مركز جمعة الماجد، دبي، ١٩٩٥م.

٨- آثار عبد الحميد الزُّهراويّ، وِزارة الثَّقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

٩- تُراث الحلَّاج: أخباره، ديوانه، طواسينه (بالاشتراك)، دار الذَّاكرة، حمص، ١٩٩٦م.

١٠ـ كشف النِّقاب المجازيّ عن داليَّة ابن حجازيّ، لشُعيب كيّالي (ت١١٧٢ هـ)، مطبعة اليمامة، حمص، ١٩٩٦م.

١١ـ بهجة العابدين بترجمة جلال الدِّين السُّيوطيّ للشَّاذليّ (ت بعد ٩٤٦ هـ)، مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٩٩٨م.

١٢ـ حِلية الفُرسان وشعار الشُّجعان لابن هُذَيْلٍ (بالاشتراك)، مركز زايد للتُّراث، العين، ٢٠٠١م.

١٣ـ هبة الأيَّام فيما يتعلَّق بأبي تمَّام ليُوْسُفَ البديعيّ (ت ١٠٧٣ هـ) (بالاشتراك)، المجمَّع الثَّقافيّ، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

١٤ـ تحفة الأنفس وشعار سكَّان الأندلس لابن هُذَيْلٍ (بالاشتراك)، مركز زايد للتُّراث، العين، ٢٠٠٣م.

فضلًا عن سبع عشرة رسالة حقَّقها ونشرها في مجلَّة مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ومجلَّة المجمع العلْميّ الهنديّ، ومجلَّة معهد المخطوطات بالكويت، منها:

ـــ القصيدة الحرباويَّة مع شرحها للبلطيّ.

ـــ مقدِّمة حاشية السُّيوطيّ على تفسير البيضاويّ المسمَّاة بنواهد الأبكار وشوارد الأفكار.

ـ إحكام المعروف مِنْ أحكام الظّروف لابن الطَّيِّب الفاسيّ.

ـ الزَّهَر اليانع اللَّيِّن في أحكام ولغات كأيِّن لعبد الغنيّ السَّادات (ت ١٢٦٥هـ).

ـ نزهة الطَّرْف في أحكام الجارّ والمجرور والظَّرْف للأخفش الصَّنْعانيّ.

ـ ذكر معاني أبنية الأسماء الموجودة في المفصَّل لابن مالكٍ.

ـ رسالة في صناعة الكتابة لمؤلِّف مجهول.

ـ رسالة لابن النَّحَّاس فيما يتعلَّق بكتاب سيبويه.

هٰذا وقد شارك الدكتور عبد ٱلإلٰه في **سلسة المختار من التُّراث الَّتي كانت تُصدرُها مديريّة إحياء التُّراث العربيّ ونشرِه في وزارة الثَّقافة**، فاختار مِن:

ـ معجم البُلْدان لياقوتٍ الحَمَويّ، (ثلاثة أسفار) ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م.

ـ الفرج بعد الشِّدَّة للقاضي التَّنوخِيّ، (سِفران) ١٩٩٥م.

ـ نشوار المحاضرة للقاضي التَّنوخيّ، (أربعة أسفار) ٢٠٠٠ـ٢٠٠١م.

أَمَّا أغزر حقول نشاطه المعرفيّ فكان البحوثَ والمقالاتِ، إذ حرَّر الرَّجل ما يربو علىٰ مئة بحث ومقال، ونشره في مجلَّات علميَّة مرموقة.

وللمؤتمرات والنَّدوات نصيبٌ مِن نشاط الدكتور عبد ٱلإلٰه، وهو مِمَّا يتناغم وما جُبِلَ عليه مِنْ حبِّ النَّاس ولقاءِ أهل العِلْمِ منهم والاستماعِ إلىٰ فحول العلماء مِمَّا يرضي نفسه الطَّامحة، ويروي غليل صدره الَّذي لا يني يطلب العلم، فاشترك في نحو خمسة وعشرين مؤتمرًا وندوة ودورة عُقدت في جامعة دمشق، وجامعة اليرموك ـالأُردنّ، وجامعة مُؤْتة، والجامعة الأردنيَّة، وجامعة البعث، ومجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ومركز زايد للتُّراث في العين، وجامعة الإمارات، وجامعة حلب، وغيرها.

وبعدُ

فهٰذه لُمَعٌ مِن حياةِ عالِمٍ وقف حياته علىٰ العربيَّة تَعَلُّمًا و تعليمًا ونشرًا لنصوصها العتاقِ الأُوَلِ، وآمن بالتُّراث الَّذي أَجَلَّهُ أعظم الإجلال، وجال في حدائقه الغنَّاء يمتِّعُ نفسَه برياحينه وأزاهيره، ولم يمنعْه هٰذا الإيمان الرَّاسخ بأصالة هٰذا التُّراث وشموخه مِنْ أَنْ ينفتح علىٰ المدارس والاتِّجاهات الحديثة في درس اللُّغة، بل وقف بثباتٍ بين جذوره الَّتي يتحدَّرُ منها والنَّسائمِ المختلفة الرَّوائح الَّتي تهبُّ عليه، مُنْتِجًا مَوْقِفًا قِوَامُهُ الاعتدالُ والأصالةُ والتَّنويرُ.

رحمكَ اللهُ يا أَبَا مصعب، سيبقىٰ ذكرُكَ في خدمةِ هٰذا اللِّسانِ ما كَرَّ الجديدان:

ولا زال ريحانٌ ومِسْكٌ وعَنْبَرٌ علىٰ مُنتهاهُ دِيْمَةٌ ثُمَّ هَاطِلُ

مصادر المقال:

ـ أعلام مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق في مئة عام (١٩١٩ ـ ٢٠١٩م)، إعداد مروان البوَّاب، مراجعة: أ. د. محمَّد مكِّيّ الحسنيّ و أ. د. مازن المُبارك، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ١٩١٩م.

ـ حفل تَأْبين الأُستاذ الدكتور عبد الإله نبهان رحمه الله، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق ٢٠٢١م.

ـ في رحيل رجل العلم والأدب الدُّكتور عبد الإله نبهان (١٩٤٥ـ٢٠٢٠م)، أعدَّهُ وحرَّره الدكتور حسّان فلاح أوغلي، بُستان هشام، ط١، ٢٠٢١م.

مُقدِّمات كتبه:

ـ ابن يعيش النَّحويّ (٥٥٣ ـ ٦٤٣هـ)، اتّحاد الكتَّاب العرب، دمشق، ١٩٩٧م.

ـ إعراب الحديث النَّبويّ لأبي البقاء العكبريّ (ت ٦١٦ هـ)، دار الفكر، دمشق، ط ٣، ١٩٨٩م.

ـ بهجة العابدين بترجمة حافظ العصر جلال الدِّين السُّيوطيّ لعبد القادر الشَّاذليّ (ت بعد ٩٤٦ هـ)، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، ١٩٩٨م.

ـ تراث الحلَّاج أخباره ديوانه طواسينه، دار الذَّاكرة، حمص، ١٩٩٦م.

ـ الفهارس المُفصَّلة للأشباه والنَّظائر في النَّحو للسُّيوطيّ، معهد المخطوطات العربيَّة، القاهرة، ١٩٩٨م.